

كيف ينظر الفلسطيني الى ابن شعبه الفلسطيني من مواطني اسرائيل؟

ان التعاطي الفلسطيني الشعبي مع عرب اسرائيل، والى حد قليل ما يزال كذلك، تعاطياً يتسم بالشك. وهم يتهمونهم بأنهم ليسوا وطنيين

داني روينشطاين

كان التعاطي الفلسطيني الشعبي مع عرب اسرائيل، والى حد قليل ما يزال كذلك، تعاطياً يتسم بالشك. وهم يتهمونهم بأنهم ليسوا وطنيين، وهناك من يتهمهم بأنهم باعوا شرفهم الوطني. إن من ساعد في الماضي على إضفاء مثل هذا الشعور، ليس من خلال الكتابات التي كتبها وإنما من خلال الأفعال التي قام بها، هو الشاعر محمود درويش. ولد محمود درويش في العام ١٩٤٢ في قرية البروة، قضاء عكا، وترعرع في قرية الجديدة ضمن دولة اسرائيل. لقد كان مواطناً إسرائيلياً، وكان محرراً لصحيفة "الإتحاد" اليومية، غير أنه قرر ذات يوم أن مكانه ليس هنا. غادر درويش دولة اسرائيل بعد حرب الأيام الستة، وخرج الى المهجر وانضم الى منظمة التحرير الفلسطينية. ويعتبر محمود درويش شاعر القضية الفلسطينية، والكثيرون يحفظون أشعاره عن ظهر قلب، وخاصة قصيدته القديمة "سجل: أنا عربي"، والتي يعبر من خلالها عن رفضه للهوية الإسرائيلية التي كان يحوزها. وها هو شاعر القضية الفلسطينية يقرر، بدلاً من المراقبة على أرض الوطن والبقاء في اسرائيل، الخروج من هنا ليصير لاجئاً فلسطينياً.

لقد فعل درويش ما فعله قبل أكثر من ٣٥ عاماً. أما اليوم فقد تبدلت الأحوال. إن العشرات والمئات من عرب اسرائيل، من ذوي المواقف، لم يفعلوا ما فعله درويش، ولم يرحلوا - بل بقوا في اسرائيل وأثبتوا وجود خيار آخر أيضاً للكثيرون من عرب اسرائيل يشاطرون الواقع الثقافي، الاجتماعي والسياسي الخاص بالفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة. المسرح الوطني الفلسطيني (الحكواتي) يدار من قبل المواطن الاسرائيلي مكرم خوري. إن العروض المنولوجية المشهورة للممثل الاسرائيلي محمد بكري، والمستقاة من كتاب اميل حبيبي المشهور، "المتشائل"، غرست في وعي سكان رام الله ونابلس اشكالية العالم الخاص بعرب ١٩٤٨، كما يسمونهم. وما عدا بعض

الثرثرات على قارعة الطريق، فلا أحد يسميهم متعاونين. يتم استقبال معظم أعضاء الكنيست العرب بإحترام كبير في كل مكان في المناطق الفلسطينية، ويعتبرون نشطاء أوفياء لأبناء شعبهم. ويعمل محاضرون عرب في الكليات في المناطق الفلسطينية. ويحظى الحامون العرب من اسرائيل، الأطباء والنشطاء في منظمات حقوق الإنسان بتقدير كبير لدى الجمهور الفلسطيني، ويحظى الصحافيون الكفاء مثل عطا الله منصور وسالم جبران بنشر بارز في الصحافة الفلسطينية. هؤلاء جميعاً غيروا من التعاطي الفلسطيني مع العرب من مواطني اسرائيل.

الكاتب هو عضو بهيئة تحرير صحيفة "هآرتس"

لللاجئين، جنوبي مدينة بيت لحم. عائلته أصلها من قرية زكريا (والمعروفة اليوم بإسم موشاف زحاريا) قرب بيت شيمش. في الظروف التي واكبت حرب عام ١٩٤٨، بقي أبناء حمولة "أبو لين" في القرية، ولم يرحلوا مع أشقائهم الى بلاد الغربية. وقد قررت حكومة اسرائيل، في كانون الثاني ١٩٥٠، طردهم من القرية وعرضت عليهم خيارين: الأول، البقاء في اسرائيل والانتقال للعيش في الحي العربي الصغير بالرملة، والثاني الانتقال الى الضفة الغربية الخاضعة للحكم الأردني. وقد انقسمت الحمولة الى فريقين. هناك من انتقلوا للعيش في الرملة وهناك من انتقلوا للعيش في مخيم الدهيشة للاجئين. كيف سارت بهم الأمور وماذا طرأ على أبناء العائلة الموسعة في أماكن سكناهم الجديدة؟ يتضح (طبقاً لأقوال

إن العروض المنولوجية المشهورة للممثل الإسرائيلي محمد بكري، والمستقاة من كتاب اميل حبيبي المشهور، "المتشائل"، غرست في وعي سكان رام الله ونابلس اشكالية العالم الخاص بعرب ١٩٤٨، كما يسمونهم. وما عدا بعض الثرثرات على قارعة الطريق، فلا أحد يسميهم متعاونين

صديقي من الدهيشة) أن المبدأ الماركسي القائل بأن "الحاضر هو الذي يحدد الوعي" ينسحب عليهم أيضاً: لقد تحول أبناء عائلة "أبو لين" في الدهيشة الى نشطاء جديين في الحقل الوطني (الكثير منهم في اطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)، بينما ضلع أبناء عائلة "أبو لين" في الرملة في حياة المجتمع الاسرائيلي بل ويخدمون في الجهاز الأمني. "كلهم متعاونون"، كما يقولون عنهم في الدهيشة. المثال الثاني يدور حول الملاحظات المهينة التي أطلقها قبل مدة مستخدم ثانوي في الوقف الاسلامي في شرقي القدس تجاه الشيخ رائد صلاح. الشيخ رائد صلاح من أم الفحم، ومعتقل في اسرائيل، وربما يُعتبر أكثر عربي - مسلم عمل خلال السنوات الأخيرة من أجل الحفاظ على المسجد الأقصى، من خلال تنظيف وترميم المواقع فيه. وبتشجيع من الحركة الإسلامية التي يقودها يزور آلاف المسلمين الاسرائيليين المواقع المقدسة للمسلمين في القدس. إن اتهام الشيخ رائد بعدم الإخلاص الوطني يعتبر حقاً عاراً.

في الفيلم المؤثر حول الأديب اميل حبيبي الذي أنتجته داليا كريل خلال الأيام التي سبقت وفاته، يحكي اميل حبيبي عن الفكرة التي كانت تؤرقه طيلة أيام حياته: هل هو متعاون؟ حبيبي "بقي في حيفا" (هذا ما طلب أن يكتبوه على قبره) في الوقت الذي أقتل معظم سكان مدينته حيفا، ومعظم أبناء شعبه الفلسطيني في العام ١٩٤٨ من وطنهم وتحولوا الى لاجئين لا يملكون شيئاً وقد قرر حبيبي عدم الرحيل والبقاء في وطنه. علاوة على ذلك، فقد تحول الى ناشط سياسي في حزب يهودي عربي وتم انتخابه ليمثل الحزب في الكنيست لمدة عشرين عاماً تقريباً. ألا يمكن النظر اليه على أساس أنه متعاون مع السلطات الإسرائيلية، وحتى خائن لأبناء شعبه؟ هكذا يجيب هو على السؤال: "لا، لست متعاوناً، لكن من المشروع أن ينظر الي بعض العرب، وربما بعض اليهود المتطرفين، على أنني متعاون". إن التخييط والحيرة فيما إذا كنا من المتعاونين، كان سؤالاً أخلاقياً وربما ما يزال، أحد الاسئلة المثيرة للقلق لدى كل عربي اسرائيلي يملك وعياً وطنياً وفكراً سياسياً. كيف ينظر اليه أبناء شعبه الذين يجثمون تحت الضائقة والإحتلال في الضفة الغربية وغزة، أو في مخيمات اللاجئين في الشتات الفلسطيني؟ هل يُعتبر في نظرهم خائناً؟ أم بدلاً ظل مرابطاً على أرض الوطن ولم يرحل؟

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال قد مرت بعدد من التقلبات على مدار ٥٧ سنة مضت منذ نكبة عام ١٩٤٨، غير ان تبعاتها ما تزال تثير الضيق الى يومنا هذا إن احدى الطرق المتاحة لفحص التوجه الفلسطيني تجاه عرب اسرائيل هي معاينة الأعداد الخاصة بملحق "المشهد الإسرائيلي" الذي يتم ارفاقه كل أسبوعين مع صحيفة الأيام الفلسطينية التي تصدر في رام الله. ويشتمل الملحق على أخبار، تحليلات ومقالات تتناول ما يدور في دولة اسرائيل، ويتعاطى في بعض الأحيان مع عرب اسرائيل. كما أن الأخبار الخاصة بعرب اسرائيل تُنشر يومياً في الصحف الفلسطينية اليومية، على ضوء متابعة متواصلة للمواد المنشورة، يمكننا أن نحدد: يوجد في وسائل الإعلام الفلسطينية عدد غير قليل من التقارير عن عرب اسرائيل، ومعظمها زاخرة بوصف الظلم والتمييز الذي يعاني منه عرب اسرائيل مقارنة مع اليهود، ويتم تجسيدهم كإثنية جاثمة تحت المعاناة والمطاردة، ومن الصعب العثور في النشرات الفلسطينية ولو على ملاحظة واحدة مسببة لتتهمهم بالتعاون وتصورهم على أنهم خائنون.

إن الأمر مغاير لهذا في سياق تبادل أطراف الحديث في البيوت وعلى قارعة الطريق في الضفة الغربية وغزة، ويمكننا في هذا السياق أن نقدم مثالين. المثال الأول يتناول محادثة أجريتها قبل حوالي عامين مع أحد معارفي القدامى في مخيم الدهيشة

أن تكون فلسطينياً في المهجر

نظرة اليهودي الى الفلسطيني المهاجر في وطنه

عيران تسور

ما معنى أن تكون فلسطينياً في المهجر؟ في البلاد العربية؟ في العالم الغربي؟ طبعاً يشقاق الى الوطن المحتل والضائع، وهو يحلم بالعودة. ما هو المكان الذي احتله، أنا اليهودي الاسرائيلي، في التصور المستقبلي لهذا المهاجر؟ ما هو المكان الذي يحتله هو في تصوري أنا للمستقبل؟ هل هو مستعد للتسوية؟ ما هو نوع التسوية التي يقبل أن يعيش معها؟ هل هذا كل شيء أم لا شيء؟ جهاد يتواصل على مر الأجيال حتى تحصيل الهدف الكامل، أم التأقلم مع الحياة اليومية من خلال قبول الواقع ومحاولة التأثير عليه من خلال الوسيلة ذاتها؟

هل سأتيح له، أنا وشعبي، التأثير؟ هل سنعترف بالتراجيديا التي حلت به؟ هل سننظر اليه على قدم المساواة؟ هل تجربة مهجره مشابهة لتجربة المهجر التي عاشها أبي وعائلتي على مدار مئات السنين في بولندا؟ إن الحساب المرير ما بين المسيحية واليهودية فرض حياة كابوسية على يهود أوروبا. وعندما احتل المسلمون اسبانيا وقعوا حلقاً مع اليهود المحليين. وها هو شلومو ابن جبيرول، الشاعر اليهودي الذي عاش في ساراغوسا في تلك الحقبة، يكتب قصيدة معظمها بالعبرية، غير أن الأبيات الختامية مكتوبة بالعربية بأحرف عبرية.

عندما نقرأ القصيدة بصوت عال يبدو الانتقال طبيعياً. نهايات الكلمات تبدو متشابهة، وفي أحيان كثيرة تتشابه جذور الكلمات. وحتى بدون معرفة العربية يفهم القارئ العبري أصول اللغة السامية. توجد في العبرية الإسرائيلية اليوم كلمات كثيرة بالعربية، معظم العرب الاسرائيليين والفلسطينيين يتحدثون العبرية. هل يمكن للتقارب ما بين اللغات أن يجسر ويشهد على أن الهوة السحيقة ما بين الشعبين أقل



مما تبدو؟

طبقاً للتوراة، فقد قام ابراهيم بإجلاء اسماعيل وأمه الى الصحراء، وهكذا أوجد الفصل ما بين اليهودية والاسلام، غير أن اسحاق واسماعيل ما يزالان أخوان. وهما ليسا مضطرين عند بلوغهم الى تحمل جنابيات جيل الآباء. أثناء عملي كموسيقي قمت بتلحين قصيدة نعيم عرايدي "القدس حبيبتي". إن عرايدي حالة صارخة للشاعر الذي يعيش على خط التماس بين العبرية والعربية، حيث انه يجيد اللغتين. وفي القصيدة يشبه المدينة بنت صغيرة يرغب الجميع فيها، وهي أكبر وأكثر تجريباً من أن يحاول أحد قطعها أو فرض تسوية سياسية عليها. وعندما نشبه المدينة ببنت صغيرة، ليست لي وليست لك، ندرك كم تعاني الصغيرة....

لقد غنيت هذه القصيدة في اطار شاركت فيه الرسامة الاسرائيلية تمار جيطر. وقد توجهت فوراً الى اللوح وكتبت MUST BE DEVIDED. أومات براسي ودار في بالي خاطر: ان القدس مقسومة اليوم، إن المدينة القديمة مغلقة أمامي منذ اليوم الأول لإنتفاضة الأقصى. في ذلك اليوم ساقنتي قدمي مصادفة الى ذلك المكان، الى مداخل بوابة نابلس. وقد وقفت أسراب من رجال حرس الحدود فوق عدد من الأولاد وهم يلعبون بكرة مصنوعة من الخرق البالية. ساد المكان هدوء متوتر ولم أدرك أن الشرارة اندلعت في تلك اللحظات. شاهدت الجنود ورجال الشرطة وهم يتترسون وراء النظارات محكمة الاغلاق، الخوذات والسترات الواقية، بنادق ام - ١٦ مشحونة بين الأيدي، وهذا كله فوق عدد من الأولاد الذين يلعبون.

أحد الأولاد شاهدي فآلتي باتجاهي بجملة آجاص. لم يرد رجال الشرطة لكنهم منحوني شعوراً بالأمان. هنا، قرب حائط المبكى، احتفلت ببلوغي جيل البلوغ، ورغبت في الصراخ.

استدرت وغادرت باتجاه شوارع المدينة الاسرائيلية. أنا حزين لأنني عدو لولد يلعب كرة القدم في الحديقة العامة.

الكاتب هو ملحن وشاعر

الكتاب التالي لنعيم عرايدي "الهادؤون يتغلغلون" فسوف يصدر قريباً عن "الكيوتس الموحد"

أقدس حبيبتي

تأليف: نعيم عرايدي

يحكى أن بنتا جميلة،

جميلة جداً كما في السماء

يحكى أنها كانت جميلة

واسمها أورشليم.

وقد أحب الجميع هذه البنت

وأنا أحببتها أضعافاً مضاعفة

وعندما كبرت

حاول الجميع قطعها إلى نصفين

وقد بكت من شدة الحزن

كي لا يتلفوا المقص....

لم تتنازل عن أمرين

عن الدعاء والسفء

يحكى أن بنتا جميلة

صار جمالها أضعافاً مضاعفة